«علم الفطرة وعلم الحساب»

١ - أحداث تاريخية وآيات توضح الفرق بين «علم الحساب» و«علم الفطرة»

من هذه الأحداث التاريخية والآيات العديدة يتم التدبر فى البعض منها:

(أ) من الأحداث:

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) ﴾

[الأنبياء ٦٨ - ٦٩]

بقوانين علم الحساب فإن النار تحرق.. ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهى «كن فيكون».. فالنار لم تحرق إبراهيم (عليه السلام) بل كانت بردا وسلاما عليه.. ومع هذا الأمر الإلهى «كن» فإن النار سوف تكون، وحينئذ لاتعترف النار بمقياس أو قانون.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) ﴾

[الصافات ١٣٩ - ١٤٦]

بقوانين علم الحساب فإن يونس (عليه السلام) سوف يتم قضمه ثم هضمه في بطن الحوت.. ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهى «كن».. كان الحوت سفينة النجاة الأخرى التى أوصلته إلى شاطىء السلامة والأمان..ومع هذا الأمر الإلهى «كن» فإن بطن الحوت سوف يكون وحينئذ لايعترف هذا البطن بمقياس أو قانون من علم الحساب..

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ (٤) ﴾

[يوسف - ٤]

﴿ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣) وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾...

[يوسف ٩٣ - ٩٤]

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾

[يوسف ٩٩ - ١٠٠]

يوسف (عليه السلام).. طفل يرى فى منامه رؤيا.. فيقصها على أبيه النبى يعقوب (عليه السلام).. وتمر الأحداث بما لاقاه هذا الطفل.. إلى أن تتحقق رؤياه بعدما يقارب العقدين أو الثلاثة من الزمان.. ويصبح هذا الطفل عزيزا لمصر.. فيأمر إخوته بالذهاب وإلقاء قميصه على وجه أبيه ليرتد بصيرا..

وقبل أن يصل القميص.. تصل ريحه إلى النبى يعقوب (عليه السلام).. فيُتهم ممن حوله بالضلال والتمسك بأمل غير مرجو.. وألقى القميص على وجه النبى يعقوب (عليه السلام) فارتد بصيرا.. ثم دخلوا جميعا على يوسف (عليه السلام).. فيرفع أبويه على العرش فيخروا له سجدا.. فتتحقق رؤيا الطفل بعد هذا الزمن البعيد.

بقوانين علم الحساب كيف يرى طفل حدثا فى منامه.. ثم يتحقق الحدث بعد سنين طويلة تماما كما رآه هذا الطفل.

وبقوانين علم الحساب.. كيف وقبل أن يصل القميص.. تصل ريحه إلى النبى يعقوب (عليه السلام)

وبقوانين علم الحساب.. كيف يُلقَى القميص على وجه كفيف فيرتد بصره.

بقوانين علم الحساب كل ذلك لا يمكن حدوثه.. ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهى «كن».. تحققت الرؤيا ووصل ريح يوسف (عليه السلام) قبل أن يصل القميص وعاد البصر بإلقاء القميص..دون تدخل طبى.. فمع هذا الأمر الإلهى «كن» فإن كل ذلك سوف يكون وحينئذ لايعترف كل ذلك بمقياس أو قانون من علم الحساب.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

[القصص ٧]

هل تقبل قوانين علم الحساب هذا الأمر.. إن خافت أم على رضيعها فعليها أن تلقيه فى اليم.. والجواب معروف وأيضا من قوانين

علم الحســاب.. لاتقبل القوانين الحسابية ذلك لأن الغرق هو النتيجة.. ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهى «كن».. سوف يرد الرضيع إلى أمه بعد أن نفذت أم موسى الأمر الإلهى.. وكان موسى (عليه السلام) من المرسلين. فكان اليم هو قارب النجاة والأمان ومع هذا الأمر الإلهى «كن» فإن اليم هو طريق النجاة ولابد أن يكون ولن يعترف من علم الحســاب بمقياس أو قانون.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا
يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ
أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ
وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ
أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ
أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ
وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ
شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي
يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾
ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ
إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ
عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾..

[النمل ١٨ – ٣١]

﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ
أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ
أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ
ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

[٣٨ – ٤٠]

هل تقبل قوانين علم الحساب تلك الأحداث.. وهى عديدة فى قصة تاريخية حيث:

نملة ترى جيش النبى سليمان (عليه السلام) قادما من بعد.. فتعلم تلك النملة النتيجة من المقدمة.. والنتيجة هى الهلاك بالنسبة لها ولقومها من النمل.. والمقدمة هى تلك الجنود الغفيرة التى سوف تدهس النمل الصغير تحت أقدامهم وهم لا يشعرون.

النبى سليمان (عليه السلام) يسمع قول تلك النملة ويشكر نعمة ربه.

الهدهد يغيب عن الاجتماع.. ويفتقده النبى سليمان (عليه السلام) ويتوعده بالعذاب أو الذبح..

الهدهد يعود ويجلس فى المكان المناسب لجلال حدث الغياب.. ثم تحدث.

﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ
ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ
لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ
مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾.

[النمل ٢٢ – ٢٦]

الهدهـد يقدم تقريـرًا إخباريا له من أسـاليب البلاغـة والفصاحة اللغوية..ما جعل المستمع كأنه قد رأى ما سمعه رأى العين. فعلو درجة الفصاحـة والبيان اللغوى من جانب هذا الهدهـد الصغير جعل التقرير الإخبارى وكأنه تقرير مصور.

ثـم إن الهدهـد قد وصل مع هـذا التقرير الإخبـارى إلى لب قضية الإيمان وجوهره.. حيث وصف هذا الهدهد الصغير الله (سبحانه وتعالى) بأدق الصفات الدالة على ألوهيته (سبحانه وتعالى)...

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾.

فالذى يخرج الخبأ فى السموات والأرض هو وحده (الله الذى لا إله إلا هو رب العرش العظيم).. فالماء مثلا ينزل إلى الأرض الهامدة وبها تلك الحبـة الجامدة فإذا الرائـى يرى تلك الأرض وقد اهتزت وربت والحبة الجامدة قد تحركت ونمت.. ذلك كله لم يكن ليحدث إلا بسـر مخبوء لايقدر على إخراجه إلا (الله الذى لا إله إلا هو رب العرش العظيم).

وعلـى جانـب آخر فإن الذى حدث من وصف هـذا الهدهد الصغير وتقديمه لتقرير إخبارى فيه ما فيه من أساليب البلاغة والفصاحة اللغوية.. ووصول هـذا الهدهد إلى لب قضية الإيمان وجوهـره... يجعل الباحث الـذى يتخذ من التدبـر والتفكر منهجا أصيلا لـه.. يصل إلى نتيجة أن هناك رسالة أخرى خفية لاينبغى أن تغيب عن قلب وعقل النبى سليمان (عليه السلام).

وتلك الرسـالة الخفية.. لابد لمثل قلب وعقل النبى الحكيم سـليمان (عليه السلام) أن يعيها.. تلك الرسالة أوصلها له أيضا هذا الهدهد الصغير وقد يكون هذا الهدهد غير منتبه لها.. حيث تقرر تلك الرسالة:

«أيها النبى الحكيم سليمان.. إن الله (سبحانه وتعالى) الذى أعطاك الملك والنبوة والحكمة.. لقادر أن يعطى غيرك ذلك كله.. حتى وإن كان هذا المخلوق الصغير الضعيف.. «الهدهد».. هذا المخلوق الضعيف الذى توعدته بذبح أو بعذاب شديد.

ولكن النبى الحكيم سليمان (عليه السلام) يعى ذلك ويشكر الله (سبحانه وتعالى):

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾. [النمل -١٩]

وبعد ذلك يأتيه عرش بلقيس من سبأ باليمن..وهو فى بيت المقدس قبل أن يرتد إليه طرفه.

هل تقبل قوانين علم الحساب أيًا من تلك الأحداث.. والجواب معروف.. ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهى «كن».. كانت كل تلك الأحداث لابد وأن تكون ولم تعترف جميعها بمقياس أو قانون من علم الحساب.

(ب) من الآيات:

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾.

[سبأ - ١٠]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

[النحل ٤٨ - ٤٩]

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

[النحل ٦٥ – ٦٦]

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾.

[الرعد – ١٣]

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾.

[الإسراء – ٤٤]

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

[النمل – ٨٨]

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

[يس – ٦٥]

هـل تقبل قوانين علم الحسـاب أيًّا من تلك الآيـات.. والجواب معروف..

ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهى «كن».. كان الحديد لينًا فى يد النبى داود (عليه السلام).. وتسبح السمواتُ والأرضُ والرعدُ..

كما أن كل شـىء يسبح من أحياء وجماد ولكن قوانين علم الحساب لا تعلم كيفية تسبيح كل هذه الأشياء..

وقوانين علم الحساب تحسب الجبال جامدة ولا تعلم أنها تمر كما تمرالسحاب.. وكذلك قوانين علم الحساب لاتصل إلى كيفية خروج اللبن السائغ لشاربيه من بين تلك الملوثات الحسابية الفرث والدم. وكذلك لا تقبل القوانين الحسابية أن تتكلم الأيدى وتشهد الأرجل.

لا تقبل القوانين الحسابية أيًّا من تلك الآيات.. ولكن بأسرار علم الفطرة ومن الأمر الإلهى «كن».. كانت كل تلك الآيات لابد وأن تكون وأسقطت جميعها كل مقياس أو قانون من علم الحساب.

٢ - رحمة الله (سبحانه وتعالى) التى وسعت كل شىء جعلت أسرارا لعلم الحساب

الله (سبحانه وتعالى) قد وسعت رحمته كل شيء.. أفلا تتسع تلك الرحمة لهذا العلم.. «علم الحساب».. نعم لابد وأن تتسع له وأن يكون له القدر الكافى من المهابة والاحترام.. وكيف لا ورسول الرحمة ﷺ يقول «اطلبوا العلم ولو فى الصين».. أو كما قال ﷺ..

ولفظ العلم هنا وإن كان عاما فى توجيه الرسول الكريم ﷺ.. إلا أن الباحث الذى يتخذ من التدبر والتفكر منهجا أصيلا له.. يجد أن الإشارة هنا فى هذا التوجيه الكريم إنما تميل ناحية العلم الدنيوى أى.. «علم الحساب».. حيث تم اختيار الصين رمزًا له فهى بعيدة عن الرموز الدينية أو الأماكن المقدسة.

ومن عجب أن يأتى الرسل الكرام فى الفترات الأولى للحياة حيث لم يكن هناك من التقدم العلمى أو التكنولوجى من شىء. وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) من ذلك..أن البشر حينذاك لديهم من الصفاء الذهنى

والنفسي ما يدعوهم إلى التصديق بتلك الرسل وما يأتون به من آيات وبراهين على صدق رسالاتهم.

وهذا يفسر للباحثين سر اختيار بعض الأماكن دون الأخرى لتكون مهبطا للرسالات السماوية إلى الأرض. مثلا كانت جزيرة العرب مهدًا لرسالة الإسلام وكانت حينذاك دولتان عظميان في الحضارة وهما دولتا الفرس والروم. فكان اختيار جزيرة العرب حيث الصفاء والبعد عن تلوين تلك الحضارات للسلوك البشرى.

أى إن الحضارات تقلل من درجة الصفاء الروحي لما بها من مباهج وزخارف الحياة التى تشغل النفس عن هذا الهدوء وذاك الصفاء.

ومن حكمة الله (سبحانه وتعالى) البالغة أنه أتى بالرسل الكرام فى تلك الفترات الأولى من الحياة البشرية حيث تلك الدرجة العالية من النقاء والصفاء الروحي والنفسي.

وحدث مع تلك الرسل الكرام ما حدث من المعجزات الخارقة والآيات البينات التى تدل على صدق رسالاتهم. وكانت نوعا من التثبيت والتصديق من جانب البعض وكذلك كانت نوعا من السحر والخيال من جانب البعض الآخر.

ومرت القرون والأعوام ويزداد بنو آدم من التجارب والخبرات على هذه الأرض وتلك التجارب والخبرات إنما كانت تمثل الركيزة والأساس لما يعرف اليوم بالتقدم العلمى. وكان هذا التقدم العلمى يسير ببطء.

وأسهم العلماء من كل مكان فى إحراز المزيد ومن هؤلاء العلماء العالم الرياضى إسحاق نيوتن (عالم إنجليزى ١٦٤٢ - ١٧٢٧) الذى وضع أسس قوانين علم الحركة وحساب التفاضل والتكامل.. وتعتبر

تلك القوانين وعلم التفاضل والتكامل هى الأســاس الجذرى للمخترعات والتقدم التكنولوجى الحالى.

ومن هذا المنظور لابد أن ينتبه الباحث تدبرا وتفكرا فى تلك اللمحات الســريعة والعابرة التي تظهر أن الله (ســبحانه وتعالى) قد وسع برحمته هذا العلم.. «علم الحســاب».. وقد منحه (ســبحانه وتعالى) من الكرامة والاحترام حيث جعله (سبحانه وتعالى) يبرهن أحيانا على أسرار وآيات.. «علم الفطرة».. كما يُرى فى الومضات واللمحات السريعة التالية.

أسرار «علم الحساب» تبرهن على آيات «علم الفطرة»

« لاوقــت عندى.. ثوان وأفعل كذا.. أعد تقريرًا مهمًا.. نحضر اليوم الجلسة الافتتاحية».

تلك كلمات العصر الحالية.. لاوقت كذلك للراحة النفسية وما يستتبعها من الصفاء الروحى.. فحينما تــزداد أدوات الراحة والرفاهية تقل معها أدوات النفــس وملكاتها الروحيــة.. فتقل حتى المواهب الفنية لقلة تلك الملكات الروحية.

هنــا تخبو أنوار الــروح وصفائها.. وتظهر أثقال المــادة وغوغائها.. فتتضائل الرؤيا الروحية وتتعاظم الرؤيا البصرية حينئذ تأتى كرامة «علم الحســاب» ليشــد من عضد أســتاذه ومعلمه «علم الفطرة» فطالما أعطى ومازال.. ويصون «علم الحساب» جميل أستاذه ومعلمه. قائلا أنا أكفيك يا أســتاذى العظيم هؤلاء.. فدعنى يا أستاذى أساعدك فطالما مددت يد العون لى.. فهاأنذا أســتطيع الآن أن أقدم لك شيئا من عظيم فضلك على ولتنظر معى يا أستاذى العظيم ما فعلته من أجلك.

الفاروق عمر

وهــو بالمدينة المنــورة يرى.. فينادى على مرأى ومســمع ممن حوله «يا ســارية الجبــل».. ســارية يرى ويســمع ويلبى نداء الفــاروق عمر (رضى الله عنه).

فــى الماضى البعيد يا أســتاذى العظيم كنت صغيرًا ولم أســتطع أن أناصرك.. أما الآن فهاأنذا قد كبرت و هاأنذا أفعل:

«التليفــون المحمول فى يد الجميع».. ما هذا؟.. هذا شــعار حديث يا أســتاذى العظيم.. بهذا الجهاز التكنولوجى الحديث.. يستطيع كل واحد أن يتحدث إلى الآخر مهما كان.. مكانه.

«يتحدث إلينا الآن عبر الأقمار الاصطناعية» .. وما هذا؟.. يا أستاذى العظيــم هذا ما يحدث الآن حيــث يتحدث ويتحاور البعض مع البعض الآخــر بصوتهم وصورهــم فى الحال مهما كانت المســافات التى تفصل بينهم من الكرة الأرضية.

وينتبه الأستاذ العظيم ثم يحمد الله (سبحانه وتعالى) قائلا فى غبطة وسرور.. «معنى هذا أن رؤية الفاروق ونداءه لسارية ورؤية سارية للفاروق وتجاوبه فى الحال أصبح قريبا الآن لهؤلاء المنكرين من قبل.. حمدا لله على ذلك.

الذى عنده علم من الكتاب ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1]

أنا الآن فى كاليفورنيا.. ســوف أرســل لك الموضــوع بالفاكس على مكتبــك بالقاهرة.... ما هــذا أيضا؟.. هذا يا أســتاذى العظيم.. جهاز تكنولوجــى حديث.. يمكن من خلاله إرســال الخطابــات المتبادلة فى

(١) سورة النمل الآية ٤٠.

أقصـــر مدة زمنية ممكنة لا تزيد على دقائق مهما كانت المســافات التى تفصل بين المكانين على الكرة الأرضية.

ويزداد الأستاذ العظيم سرورا ثم يحمد الله (سبحانه وتعالى) قائلا فى غبطة وســعادة.. «معنى هذا أن الـذى عنده علم من الكتاب حينما أتى بعرش بلقيس من ســبأ إلى مكان النبى سليمان بن داود فى بيت المقدس فى الحال وقبل أن يرتد إليه طرفه.. هذا الفعل أصبح قريبا الآن لهؤلاء المنكرين من قبل.. حمدا لله على ذلك.

ثم يســتطرد التلميذ النجيــب.. «علم الحســاب».. حينما وجد أســتاذه العظيم «علم الفطرة» ســعيدا بإنجازاتــه العلمية واختراعاته العجيبــة.. اســتطرد التلميذ..فخورا بجهــده ونصبه حتى تحقق له ما تحقق من معجــزات مادية قربت للعقول والأبصار تلك المعجزات الروحية.. اســتطرد التلميذ قائلا أتظن يا أستاذى أن هذا فقط الذى أطلعتك عليه..

ويعجب الأســتاذ من تلميذه متســائلا وهل هناك من عجائب علمية أخرى لم تطلعنى عليها.. فيرد التلميذ على أســتاذه فى فخر واعتزاز.. نعم يا أســتاذى العظيم هناك الكثــير والعديد من تلك المخترعات والتى جعلت من بنى آدم مهيمنا مسيطرًا على هذه الأرض..

حيــث يســير ويطير عليهــا وفى أجوائهــا.. فهنا الآن الســيارات والطائــرات وســفن الفضاء والأجهزة المســموعة والمرئيــة وما لا يعد من الأجهــزة العلميــة وكل هــذا لتتحقق خلافة بنــى آدم على الأرض كما أراد له الله (سبحانه وتعالى).

وينتبــه التلميذ وإذا بأســتاذه العظيم عيناه تذرفــان دمعا وهو يردد سبحان ربى العظيم الذى قال وقوله الحق:

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾

[الأنبياء - ٣٧]

□□□

قضية الصراع بين الخير و الشر

إن قضيــة الصــراع بــين الخير و الشــر قضية تســتحق منا البحث والتحليل والوقوف على ماهيتها وأسبابها ونتائجها التى تؤثر فى حياتنا بصفة عامة. والباحث ســرعان مايبدأ بحثــه وتحليله من خلال توجيه رسوله الكريم فى قوله (صلى الله عليه وسلم):

«تركــت فيكم ما إن تمســكتم به لــن تضلوا بعدى أبــدا كتاب الله وسنتى».

ومن هنا لابد للباحث الذى يريد أن يقف على ســبب قاطع وجازم لهذه القضية أن يبدأ منهج بحثه بالاستناد إلى ماورد فى كتاب الله وفى سنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) ولكن كيف يبدأ ومن أين؟.

والإجابة عن هذين السؤالين قد تبدو ثقيلة وعسيرة على من لم يتعود البحــث والتدقيق والتدبر والتأمل وكل هذه الصفات التى قد تبدو بالغة التعقيد فإن كتاب الله (سبحانه وتعالى) وسنة رسوله الكريم ﷺ دائما ما يحثان عليهما المؤمن بصفة عامة والمسلم بصفة خاصة حيث يوجه شرعنا الحكيــم بنى آدم إلى التدبر والتذكر والســير فــى الأرض والوقوف على ماوصلت إليه الأمم الســابقة من ســلوك أدى بها إما إلى النجاة والعيش الكريم وإما إلى الهلاك والضنك فى الحياة حســبما كان هذا السلوك من الخير أو من الشر.

فالباحث المتدبر حينما يبدأ رحلة بحثه عن ســبب حاســم وواضح للصراع الذى ينشــأ بين قوى الخير وقوى الشــر فلابد أن يهديه بحثه

وتدقيقه إلى البحث أولا عن الأصل الذى تنشأ منه ألوان من الشر كما تنشأ منه أيضا ألوان من الخير فى أحوال أخرى.

فإذا وصل الباحث إلى هذا الأصل كان من اليسير عليه التعرف إلى هذا الأصل أوالمنشأ أو المنبع الذى يخرج منه إما الشر وإما الخير وبخبرة الباحث المدقق الذى يسير وفق منهج الله (سبحانه وتعالى) وسنة نبيه الكريم ﷺ فإنه يعرف أن لزاما عليه أن يتعمق بالبحث والتحليل حول هذا الأصل حتى يتعرف إليه ويبحر فى داخل أعماقه حينئذ يتعرف من هذا الإبحار إلى الجوانب والخصائص التى يختص بها هذا الأصل ومن ثم يمكن الوصول إلى ماهية هذا الصراع وكيف ينشأ من هذا الأصل أو المنبع.

وحياتنا الإيمانية مليئة بهذه النخبة من الباحثين المدققين ومنهم نبى الله الخليل إبراهيم (عليه السلام) الذى كان يبحث ويدقق فى ملكوت السموات والأرض ليهتدى إلى رب هذا الكون ليكون ربه المختار على هدى واطمئنان..

فكان نبى الله الخليل إبراهيم (عليه السلام) يتدبر ويتأمل النجوم والكواكب ليهتدى إلى ربه وبعد هذا الاجتهاد وهذا البحث المضنى والتدقيق هداه الله سبحانه وتعالى فأسلم وجهه لله رب العالمين.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

[الأنعام – ٧٥]

ومن هنا يتعلم الباحث المؤمن أن البحث والتدقيق ليس طريقا سهلا هينا إلا على من جد واجتهد فى بحثه وتدقيقه فهذا سوف

يهديه الله رب العالمين إلى غايته وفقا لسعيه وإخلاصه فيما يبحث عنه ويدقق فيه.

وفى قضيتنا التى بين أيدينا قضية الصراع بين الخير والشر... حينما يجتهد الباحث ويدقق ليصل إلى بداية طريق البحث ليهتدى إلى سواء السبيل وإلى طريق الوصول إلى الهدف وبلوغ المراد من بحثه وتدقيقه فإن الله سبحانه وتعالى يتفضل على المجتهد الذى يسعى ويأخذ بالأسباب فيمن عليه بالومضة الأولى ليبدأ منها رحلته للبحث عن أصل ومنشأ هذا الخير أو هذا الشر.

وهذه الومضة كامنة كجوهرة نفيسة فى صندوق ثمين. فهذه الجوهرة الكامنة هى «القلب»... وهذا الصندوق الثمين هو حديث رسول الله ﷺ الذى يحوى هذه الجوهرة حيث أخبرنا رسولنا الكريم ﷺ فى حديثه الشريف:

«ألا إن فى الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» .. صدق رسول الله ﷺ.

إذا فإن الباحث المدقق سرعان مايصل إلى بداية الطريق الصحيح حينما يجد فى هذا الحديث النبوى الشريف أن القلب هو وعاء للصلاح كما أنه وعاء للفساد وبين الصلاح والفساد تكون حالة الجسد التى هى حالة بنى آدم فى هذه الحياة.

وحيث إن الباحث بفضل من الله وتوفيقه قد وجد أول الطريق الموصل إلى الهدف المطلوب وهو معرفة سبب الصراع بين الخير والشر من حيث إنه سبب جازم و قاطع وهذا بالنسبة للمسلم الباحث المدقق.

أما غير المسلم الذى لايستند فى بحثه إلى شرع الله (سبحانه وتعالى)

أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسوف يظل فى تيه وبعد عن هذا السبب بل إنه يضل مع الأسباب والتفاصيل إلى يصعب عليه حصرها.

ومن هنا وجب على المسلم الباحث المدقق أن يبدأ الطريق من هذه المضغة التى يصلح الجسد بصلاحها ويفسد بفسادها ألا وهى «القلب» مصداقا لحديث رسولنا الكريم ﷺ.. فهيا بنا نبدأ رحلتنا المباركة من أول الطريق مع الأصل.. مع المنشأ..مع المنبع للخير أو للشر هيا بنا إلى «القلب» .. نتعرف إليه ونحاول أن نقترب منه لنعرف أثره وخطره لعلنا نستطيع أن نجيب عن هذه التساؤلات:

- كيف ينشأ الصراع بين الخير والشر؟
- ما أثر نتائج هذا الصراع على الحياة عامة؟

❑❑❑

«نشأة الصراع» بين الخير والشر

استنادا إلى ما ورد في كتاب الله وفي أحاديث رسول الله ﷺ وما تمت الإشارة إليه فيما سبق فإن الباحث المتدبر يستطيع أن يصل إلى نتيجة هامة وهي أن منشأ هذا الصراع هو:

«العقل».. لماذا..؟

لأن «العقل» هو الذي يستكشف من «القلب» العلم والحقيقة المترتبة على هذا العلم... كما أن الباحث المتدبر.. يجد أن «سبب النشأة» لهذا «الصراع».. إنما هو المكان الذي يستكشف فيه العقل العلم والحقائق المترتبة على هذا العلم.

وهذا المكان إنما هو ما أورده كتاب الله (سبحانه وتعالى)... وأحاديث رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.. ألا وهو.. «القلب».

..ومن هنا يصل الباحث إلى هذه «الحقيقة»:

المنشأ والمنبع.. لهذا «الصراع».. هو.. «العقل».

السبب والعلة... لنشأة هذا «الصراع».. هو.. «القلب».

فالمكان هنا.. «القلب»... هو «سبب وعلة».. نشأة هذا الصراع.. تلك النشأة التي خرجت ونبعت من.. «العقل».. الذي جاء إلى هذا المكان.. القلب.. مستكشفا وباحثا.

ويستطيع الباحث أن يقرب هذه الإشكالية كما يأتي:

«منشأ الصراع وأصله من «العقل» حينما يذهب إلى مكان «القلب» ليستكشف ماعليه ومافيه من علم فعلى قدر حال المكان يكون حال الاستكشاف والوصول إلى النتيجة والى الحقيقة المترتبة عليها.

وبعد هذا الإيجاز يستطيع الباحث أن يصل إلى الشرح والإيضاح.

❑❑❑

«فهم لقضية الصراع» بين الخير والشر

إن الباحث المتأمل الذى يريد أن يجد فهما واضحا لقضية الصراع بين الخير والشر فإنه سوف يجد أن بداية هذا الصراع تبدأمن العقل.. متى؟.. حينما يذهب فى رحلة استكشاف فى مكان القلب.

فالعقل حينما يستكشف فى مكان القلب فإن هذا الاستكشاف يتوقف على حال المكان وطبيعته.. وفى إطار عام حول تلك الطبيعة فإنها كلما كانت سهلة وصافية وميسرة. كان الاستكشاف فيها أيسر وأعمق ويأتى بالغرض منه.

أما وعورة هذه الطبيعة من عدم صفاء أو ظلمة فإن الاستكشاف يكون صعبا ولايأتى بالغرض المرجو. ولهذا فإن الباحث المتدبر يستطيع أن يصل إلى جوهر القضية.

فهذا الجوهر أو هذا المحور لهذه القضية إنما هو «القلب» - فحال القلب هو الذى يساعد وتتمركز حوله تلك القضية التى يستعر فيها هذا الصراع بين الخير والشر.. واستنادا إلى ما ورد فى كتاب الله سبحانه وتعالى نجد أن القلب على حالتين:

حالة السلامة : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾..[الشعراء - ٨٩].

حالة المرض : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة - ١٠]

فالقلب إذاً على حالتين لا ثالث لهما.. حالة السلامة.. فهذا هو «القلب السليم» .. وحالة المرض وهذا هو «القلب المريض». والباحث المدقق يحاول أن يوضح كيف تؤثر «حالة القلب» فى صحة الاستكشاف من جانب «العقل».

ومن هنا يرى الباحثون من أهل العلم وتوضيحا لهذه الإشكالية الفكرية وهى أن حالة القلب من السلامة أو المرض هى بمثابة حالة «طريق الوصول».

فحالة القلب السليم هى بمثابة طريق سهل ممهد للوصول.. وحالة القلب المريض هى بمثابة طريق وعر وغير ممهد للوصول.. ويستطيع الباحث أن يتعمق أكثر فى توضيح هذه الإشكالية الفكرية التى تمثلها حالة القلب وهذا التوضيح يكون سهلا وجليا حينما نعلم أن القلب ممكن تشبيهه بغرفة.

هذه الغرفة حينما تكون مضيئة من حولها ومن داخلها فإن القادم اليها يرى ما حولها كما يرى ما بداخلها. أما إذا كانت الإضاءة من حولها فقط فإن القادم اليها يرى ما حولها فقط.

أما إذا دخل إليها فإن ظلمتها الداخلية تحجب عنه ما بها من أشياء... ومن هذا التصور يمكن للباحث أن يقترب أكثر إلى حالة الوضوح. حيث يتبين أنه فى حالة سلامة القلب فإن الاستكشاف يكون سهلا من الخارج وسهلا من الداخل.

أما حالة مرض القلب فإن الاستكشاف إن كان سهلا من حول الغرفة. فإنه يكون صعبا أو مستحيلا فى داخلها لشدة الظلمة فى الداخل.

ومن هذا التصور فإن «علم الحساب» أو «علم السطح».... الذى هو القسم الأول من العلم الإلهي والذى شاءت حكمة الله (سبحانه وتعالى) أن يجعله في مكان سطحي من القلب يسهل استكشافه من العقل دون أن يتأثر هذا الاستكشاف من «جانب العقل» بحالة القلب حتى ولو كان القلب مريضا أو «كغرفة مظلمة» ... لأن هذا العلم جعله الله (سبحانه وتعالى) فى مكان سطحي من القلب فلا يتأثر استكشافه من العقل بظلمة القلب.

وكما سبقت الإشارة إلى ذلك فإن هذا العلم.. «علم الحساب».. هو أساس العلم الدنيوى الذى به تنمو ألوان المعارف المختلفة.. وهذه المعارف لها من الزيادة المستمرة والإتساع مادامت الحياة على وجه الارض.. حتى تتحقق إرادة الله (سبحانه وتعالى) فى خلافة بنى آدم عليها.. فتعمر الأرض بهذا العلم من جانب بني آدم.. ومع اتساع دائرة المعرفة تستمر حركة العمران والتقدم والسيطرة لبنى آدم على هذه الأرض.

وهذا ما يراه الآن كل إنسان يعيش على هذه الأرض.. حيث يرى تطور العلم وتطور الابتكارات والاختراعات التى ذللت صعوبة الحياة على الأرض.. فكانت تلك المعارف التى تولدت معها تلك الابتكارات والاختراعات بمثابة طريق الانتقال من الحياة البدائية.. التي يجد معها بنو آدم الصعوبة فى التعامل مع البيئة المحيطة بهم.. إلى حياة تتقدم بألوان المعارف وكلما زادت تلك المعارف زاد التقدم وزاد معه التيسير فى الحياة على النحو الذى يُرى الآن وأكثر وأكثر إلى أن تقوم الساعة.

من هنا كانت حكمة الله (سبحانه وتعالى) البالغة أن يجعل «علم الحساب» فى مكان سطحي من القلب لأن الله (سبحانه وتعالى)

يريد لهـذه الأرض الإعمـار وأن يخلفه بنو آدم عليها سـواء كانت هذه الخلافة لمؤمن أو غير مؤمن.

ومن هنا اتضحت حكمة الله أن يكون «علم الحسـاب» على سـطح القلـب حتى يرى هـذا العلم المؤمن وغير المؤمن فيتـم تحصيله وترقيته بأيهما كل حسب همته ومقدرته فى طلب العلم واستيعابه.

أما «علم الفطرة» أو «علم الأسـاس».. والذى يمثل الشـق الثانى من العلم الإلهى الذى أودعه لله (سبحانه وتعالى) قلب بنى آدم فإنه يختلف عن علم السطح لأن الله (سبحانه وتعالى) قد أودعه فى «داخل القلب».

وعلـى هذه الحـال فـإن «استكشـاف العقل لهـذا العلـم مرهون بحالة القلب».

فإن كان القلب سـليما كان كغرفة مضيئة. فحينما يستكشف العقل ما بداخلهـا فإنـه يرى من خلال إضاءتها ما بها فى سـهولة ويسـر. فيستطيع العقل فى حالة القلب السليم أن يستكشف ما به من أساسيات علم الفطرة التى تساعد العقل على الوصول إلى آيات الله وقدرته فيهتدى العقل من خلال هذا الاستكشاف إلى أن الله هو الخالق وهو ربه المستحق للعبادة والشكر.

أمـا فى حالة القلب المريض.. فإن هذا القلب.. فى هذه الحالة يكون بمثابة غرفة مظلمة حينما يدخلها الداخل لايرى فيها شيئا مما بداخلها.. فيخرج منها كما دخل إليها.. دون فائدة ودون معرفة بما فى داخلها.

ومـن هذا التصور يعلـم الباحث المدقق أن العقل حينما يستكشـف ما فـى القلب «غير السـليم» أو «القلب المريض» فإنـه قد يرى ما على

سطحه أو ما حوله فيستطيع أن يستكشف علم السطح فى هذه الحالة.. ودون عناء أو دون تأثير من حالة القلب.. أما ما بداخل القلب فلا يستطيع العقل أن يستكشفه لظلمة هذا القلب.. ولذلك لايستطيع أن يهتدى من «أسس وجذور علم الفطرة» من شيء.

الاقتراب من فهم القضية

يحاول الباحثون أن يقتربوا من الفهم لطبيعة الصراع الدائم والمستمر مع حركة هذه الحياة بين الخير والشر.

وحينما يشحذون انهم ويسعون فى طريق الفهم فإن الله (سبحانه وتعالى) يساعد هذا الصنف من الباحثين المجتهدين حينما يلهمهم ويهديهم إلى البداية... وهذه البداية لم تكن إلا رحمة من الله (سبحانه وتعالى) ليبصر البشرية أن هذا صراع كائن مادامت الحياة على وجه الأرض ومادامت إرادة الله أن يكون آدم وبنوه خلفاء له (سبحانه وتعالى) على هذه الأرض.

هذه الرحمة.. رحمة الله (سبحانه وتعالى) التى وسعت كل شيء ومن أجلها وبسرِّها جعلت من بداية خلق آدم هى بداية هذا الصراع لكى يبدأ آدم حياته على الأرض عالما به وملما بجوانبه ليسير على هدى وحذر من هذا الصراع ونتائجه المترتبة عليه.

فما أن خلق الله «سبحانه وتعالى»آدم وسواه بشرا ونفخ فيه من روحه – حتى أمر «سبحانه وتعالى» الملائكة أن يسجدوا لآدم.

فماذا حدث؟

سجد الملائكة كلهم جميعا إلا أبليس أبى واستكبر.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾..

[البقرة – ٣٠]

ومن هذه اللحظة التى أبى فيها إبليس واستكبر أن يسجد لآدم ظهرت قضية الصراع بين الخير والشر. فالصراع بين الخير والشر بدأ حينما تعارضت الحسابات الخاصة مع أمر الله (سبحانه وتعالى) فكانت مبررات إبليس التى هى «حساباته الخاصة».. والتى أبعدته عن طاعة الله (سبحانه وتعالى).. ويصور لنا القرآن الكريم جوانب من تلك الحسابات الخاصة بإبليس كما وردت فى الأيات التالية:

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾

[الأعراف ١٢ – ١٦]

ومن هنا يدرك الباحث المدقق أن الصراع بين الخير والشر يبدأ عند منطقة الاختلاف والتعارض بين قوانين «علم الحساب»... التى تمثل وتحقق فى مضمونها حسابات تحقق المصلحة الخاصة.. وبين قوانين «علم الفطرة»... التى توجب فى مجملها طاعة الله (سبحانه وتعالى) حيث أمر، وعدم معصيته حيث نهى (سبحانه وتعالى) وذلك فى جميع الأحوال.

ومن هنا اقتضت رحمة الله «سبحانه وتعالى» .. التى وسعت كل شىء.. أن يجرى تجربة عملية أمام آدم ليبين له هذا الصراع ويبصره بنتائجه.

ومن هذه التجربة أعلم الله (سـبحانه وتعالى) آدم أن إبليس «عدو له ولذريتـه» من بعـده.. فيجب عليه ألا يتبع خطوات إبليس ووساوسـه حتـى لايضل فى هذه الحياة ويخـرج من حيز الطاعة والإيمان إلى حيز الكفر والعصيان.

وهذه التجربة العملية من الله (سـبحانه وتعـالى) إنما تمثل الرحمة بآدم وبنيه من بعده.. لأنه (سـبحانه وتعالى) قد عَلَّمَ آدم من خلال هذه التجربـة العملية.. أن طاعة الله واجبة فى جميع الأحوال حتى وإن لم يدرك الفكر أو العقل حكمة الله (سبحانه وتعالى) فى حينها.

ولكن رحمة الله الواسـعة اقتضت معها حكمة الله (سبحانه وتعالى) ألا تكـون هـذه التجربة العملية هـى الأولى والأخيرة ولكنه (سـبحانه وتعالى).. أجراها مرارا.. ولكن فى تلك المرات أجراها (سـبحانه وتعالى) علـى قلوب الأصفياء مـن خلقه من النبيين والصديقـين الذين أنعم الله عليهم بالاصطفاء.

وجميع هؤلاء الأصفياء من النبيين والصديقين ممن أنعم الله عليهم.. قد أطاعوا الله (سـبحانه وتعالى) فيما أمرهم حتى وإن لم يدركوا حكمة الله(سـبحانه وتعالى) فى حينها أو يفهموا لما هذا الأمر؟.. أو يستعجبوا منه ولكن جميعهم أطاع الله فيما أمر.

ومـن هؤلاء الأصفياء.. يأتى إبراهيم الخليل (عليه الصلاة والسـلام) مطيعا مستسـلما لأمـر ربه حينما يأمـره أن يترك زوجـه هاجر وابنه إسماعيـل (عليهم جميعا السـلام) فى جوف صحـراء جرداء لازرع بها ولا ماء.. فكيف هذا؟؟؟

إنـــه بالفكر المألوف... فإن الزوجة والطفل ســـوف يهلكان لامحاله.. ولكن الله أمر فيطيع الخليل (عليه السلام) بل إن زوجته الصالحة لم تزد بعد أن علمت منه إن هذا الأمر من الله (ســـبحانه وتعالى)..أن قالت «لن يضيعنا».. فالخليل إبراهيم «عليه السلام «أطاع الله..حتى وإن خالف أمر الله مايستتســـيغه العقل أو الفكر. وكذلك حينما أمره الله (سبحانه وتعالى) بعد ذلك أن يذبح ابنه فما كان منه إلا الطاعة والامتثال للأمر.

وكذلك يجد الباحث المدقق فى قصة موســـى «عليه الســـلام «حيث يوحى الله (سبحانه وتعالى) إلى أمه:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

[القصص – ٧]

فكيـــف إذا خافـــت أم على رضيعهـــا أن تلقيه فى اليـــم... إن هذا مخالف تماما للفكر المنطقى أو العقلى.

وهكذا.... إذًا ما هو جوهر القضية ولبها..؟

مما ســـبق من سياق فكرى واســـتعراض لآيات الله البينات وأحداث من بداية أن خلق الله آدم وسواه بشرًا ونفخ فيه من روحه... ثم هبوطه هـــو وزوجه مـــن الجنة ليبدأ رحلته على الأرض مع عدو له هو إبليس.. ثـــم تتابع أحداث التاريخ وما تبعها من معجزات وأوامر ونواهى من الله (سبحانه وتعالى) إلى خلقه عن طريق رسله وأنبيائه... من هذه الأحداث ماذا يجد الباحث المدقق:

الباحث يجد أن لب القضية.. «قضية الصراع بين الخير والشـــر»... وهو: صراع بين... «قلب مريض».... و«قلب سليم».

هذا هو لب القضية وقلبها.... فمن الاستقراء والقياس والمناظرة لما مر على البشرية من أحداث الخلق وعداء إبليس لآدم وبنيه... ثم إرسال الله (سبحانه وتعالى) أنبيائه.. مبشرين ومنذرين.. ومايستتبع تلك الرسالات من التزام بمنهج يريده الله (سبحانه وتعالى) لخلقه وعباده.. لصلاحهم وخيرهم.. ثم تعارض هذا الالتزام بمنهج الله (سبحانه وتعالى)... مع هؤلاء ممن يرون في هذا الالتزام إعاقة لحساباتهم التى تمثل مصالحهم الخاصة بهم.

ومن هنا وعند هذا الحد... يظهر الفريقان... فريق يتبع المنهج بطاعة واستسلام وقناعة بخيره.... وفريق معارض لهذا الاتباع... بعصيان ونكران وقناعة بشره.

والباحث المتدبر يستطيع أن يصل أيضا إلى لب القضية وقلبها من دائرة أوسع ولكن مركزها هو «حالة القلب».. من المرض أو السلامة.. فهذه الدائرة الأوسع يرى الباحث فيها أن لب قضية الصراع بين الخير والشر إنما هو:

حالة اختلاف.. «بين أفق محدود قد تحدد بحسابات محددة... وبين أفق غير محدود لم تحدده تلك الحسابات».

والأفق المحدود هنا إنما يمثله هذا القلب... «غير السليم».. أو «المريض».

لأن هذا القلب غير السليم... وكما سبقت الإشارة إلى ذلك.. إنما هو كغرفة مظلمة فإن رأى القادم إليها ما حولها أو ما على سطحها فإنه حينما يدخلها لا يرى من داخلها شيئا.. وكما سبقت الإشارة إلى ذلك فإن القادم إلى الغرفة فى هذه الحالة هو «العقل» الذى يقدم إلى الغرفة التى هى «القلب» لكى يستكشف ما بها.

فالعقل..فـى حالـة القلـب غير السـليم.. حينما يذهـب إلى القلب ليستكشـف مـا به من علم قد أودعه الله (سـبحانه وتعـالى) إياه - فإنه فـى هـذه الحالة يرى من حول القلب أو ما على سـطحه فقط.. لأن هذه السـطحية جعلت قدرا من الإضاءة يسـتطيع معها المستكشـف أن يرى مـا يريد أن يـراه. أما ما بداخل القلب «هذه الغرفـة المظلمة» فإن العقل لا يستطيع أن يستكشفه ليعلم ما به. ومن هنا يكون السبب فى الإعراض أو الرفض.

والتجربـه الأولى مـع بداية خلـق آدم والتى أجراها الله (سـبحانه وتعـالى)... رحمـة بآدم وبنيه مـن بعده إنما هى لتوضيـح هذه القضية مـن أول لحظة بعد خلق آدم وتسـويته بشـرا والنفخ فيـه من روح الله (سبحانه وتعالى).

فإن إبليس من خلق الله الذين يحملون هذا القلب غير السليم.. «القلب المريض» .. فهذا القلب قد حجب عن إبليس فطرة الله (سبحانه وتعالى) التـى فطر الخلق عليها والتـى أودعها فى داخل المخلوق لتعلمه أن الله (سبحانه وتعالى) هو خالقه وبارؤوه ومصوره..

فالمخلوق إنما هو عبد لله (سبحانه وتعالى)..ولكن هذه العبودية تختلف حتى عن عبودية العبد للسيد والتى جرت واتُبعت فى هذه الحياة - لأن السـيد إنما هو عبد أيضا ولكنه جعل من نفسـه سيدا كذبا وافتراء لأنه لا يملك لعبده ولا لنفسه أيضا نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا.

أما الله (سـبحانه وتعالى) فهو السـيد الحق فهو الله «الرب» الواحد المتفرد بالسـيادة والألوهية لأنه هو الخالق.. أمـا غيره فلايخلق.. وهو الرازق أما غيره فلا يرزق.. إلى غير ذلك من صفات الكمال المطلق والقدرة

المطلقة التى أثرها بين الكاف والنون.. فبأمر «كن» فإن الشىء يكون بقدرته (سبحانه وتعالى).

فهذه الفطرة.. فطرة لله (سبحانه وتعالى).. تجعل من المخلوق عبدا مطلقا لا نقص فى عبوديته لأن سيده الله (سبحانه وتعالى) إنما هو حالة خاصة ومتفردة.. ليس كمثله شىء (سبحانه وتعالى).. فحالته «سبحانه وتعالى» تجعله «سيدا مطلقا» لأن قدرته وهيمنته على عبده مطلقة.. ومن هنا فالله (سبحانه وتعالى) له السيادة المطلقة فهى إذا لابد معها أن تكون العبودية مطلقة.

فلا يملك العبد.. مع هذه الفطرة الإلهية.. لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة.. فكيف تكون هناك منطقة للعصيان من جانب هذا العبد «مطلق العبودية.. «مع هذا السيد».. مطلق القدرة والألوهية (سبحانه وتعالى) فهو مطلق السيادة.. فهذا إبليس أراد الله (سبحانه وتعالى) أن يجعله مثلا أمام آدم من أول لحظة من خلقه وليكون هذا المثال لأخذ الحيطة والحذر لبنى آدم من بعده.

لذلك.. فإن إبليس يمثل فى هذه الحالة... من يحمل هذا القلب غير السليم.. وظلمة هذا القلب حجبت الرؤيا لما بداخله من «فطرة» الله (سبحانه وتعالى).. التى توجب فى مجملها طاعته المطلقة.. دون قيد أو شرط.. ولم يجد عقل إبليس أمامه سوى حساباته الخاصة به التى رجحت نفسه على نفس آدم وفقا للمبررات التى برر بها عصيانه لأمر الله (سبحانه وتعالى)..فخرج بهذا العصيان من حيز الإيمان حيث كان يعد مع الملائكة حينما كان يطيع الله ويسبحه مثلهم. إلى حيز الكفر والعصيان حينما امتنع عن تنفيذ أمر الله (سبحانه وتعالى).

فكانـت هذه التجربـة...الأولى التى أراد الله (سـبحانه وتعالى) أن يجريها أمام آدم لتكون عبرة له ولبنيه من بعده... ليتعلم آدم وبنوه من هـذه التجربة..أن طاعة الله واجبة فـي كل حال وأن معصيته لا مكان لها على أى حال.

ولكن رحمة الله (سـبحانه وتعالى) الواسعة بآدم وبنيه... جعلت الله (سبحانه وتعالى) يجرى لهم مثل هذه التجربة مرارا.

فأرسل لهم الأنبياء والمرسـلين مبشرين ومنذرين... من نوح إلى سيد الخلـق أجمعـين خاتم الأنبياء.. «محمـد».. عليه وعلى سـائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فجعل فى مسـيرة هؤلاء الأنبياء والمرسـلين العبرة والأسـوة وأجرى عليهـم مـن الاختبـارات والابتـلاءات مـا يبصر البشـر بآيـات الله ومعجزاته(سبحانه وتعالى) وما يظهر مع دعوة الرسل من مؤمنين بهم... وآخرين مكذبين جاحدين مما أوتى هؤلاء الأنبياء والرسل من لدن ربهم «سبحانه وتعالى».

□□□

دراسة مقارنة عن أثر «حالة القلب على مصير صاحبه»

النبى ﷺ حينما يتصرف ببشريته إنما لكي تتعلم من ذلك أمته ﷺ.. وهذا ما حدث في مواضع كثيرة حينما يعاتب فيها الله (سبحانه وتعالى) رسوله الكريم ﷺ.. في تصرف تصرفه وقد أراد له الله (سبحانه وتعالى) ذلك.. لنتعلم نحن العبر والعظات البالغات والأمثلة على ذلك عديدة منها:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ ﴾

[التحريم - ١].

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ ﴾..

[عبس ١ - ٢].

وفى موقعة من مواقع الحرب حين يختار النبى موضعا ورآه صحابى جليل أنه ليس الموضع المناسب بعدما علم الصحابى أن النبى اختاره دونما وحي من الله (سبحانه وتعالى).. فأشار عليه هذا لصحابى بالموضع الأفضل.. من ناحية الحرب والمكيدة.. ونزل رسول الله ﷺ عن رأيه ليتبع الرأى الأفضل..

وهذا إنما ليعطى لأمته ﷺ ولقادتها الدرس الدائم بالمشورة.. وإتاحة الفرصة للرأى الآخر.. حتى تصل الأمة إلى أفضل القرارات لتظل دوما في سيادة ومنعة.

وهكذا فإن الأمثلة عديدة والتى تشــير إلى أن الله (ســبحانه وتعالى) حينما يوجه النبى ﷺ ليتصرف ببشــريته فإنــه قد يخطئ وقد يصيب وفى الحالتين فإن الأمر كله من الله (ســبحانه وتعالى) لكى تتعلم الأمة من بعده العبر والعظات الناجحات لخير دينها ودنياها.

ومــن الأمثلة المبهرة.. التى يلحظها الباحــث المدقق.. والتى يتضح فيها الفرق بين «علم الحســاب» وبين أسرار «علم الفطرة» ... هذا المثال من الســيرة النبوية العطرة حينما دعا رسول الله ﷺ أن يعز الله الإسلام بأحد العمرين.

والعمــران همــا.. أحدهما «عمرو بن هشــام»..الملقب فــى الجاهلية «بأبى الحكم» .. لرجاحة عقله فى قومه... والآخر هو «عمربن الخطاب» الذى كان مهابًا جبارًا فى الجاهلية.

فماذا حدث وماذا كانت نتيجة هذا الدعاء النبوى؟

وفى هذا المثال... والذى دعا فيه رسول لله ﷺ.. أن يعز الله (سبحانه وتعــالى) الإســلام بأحد العمرين.. فإن رســول الله ﷺ.. «ببشــريته».. لم ير ﷺ.. فرقًا واضحًا بين العمرين ولذلك دعا بأيهما..

فــكلا العمرين.. له مــن صفات القــوة والمنعة والعقــل والتأثير فى مجتمعه.. ما يؤهله أن يعزز شــوكة الإســلام ويقويها ويدفع عن حوزة الديــن مــا يعوقه من تحقيق مراده من الانتشــار.. بعنــاء وجهد أقل.. فالرسول الكريم ببشريته ﷺ لم يجد فرقًا ظاهرًا بين العمرين.

فأين كان الفرق بين العمرين..؟

إن الباحــث المتدبــر.. يصل إلى أن الفرق إنمــا كان فى القلب ... كيف هذا..؟

نعم.. لابد أن يكون.. «القلب».. هو الفيصل بين هذين العمرين.

فأحد العمرين.. وهو «عمرو بن هشام».. وكان لقبه أبا الحكم.. «فى الجاهلية».. إشارة إلى حكمته ورجاحة عقله وثقل مشورته بين قومه..

ها هو ذا.. أبو الحكم «عمرو بن هشام».. حينما ذهب بعقله الراجح ليستكشف من قلبه شيئًا.. فإن هذا القلب كان قلبا «غير سليم».. «غرفة مظلمة»..

فكان «علم الحساب».. هو الظاهر.. لهذا العقل الحكيم بمقياس علم الحساب...

أما «علم الفطرة».. وهو الباطن.. فى داخل هذا القلب.. فكان محجوبا بظلمته فلم يستطع الداخل أن يرى منه شيئًا.

فالداخل هنا هو ذا هذا العقل الراجح حسابيًا.. فلم ير هذا العقل من هذا القلب إلا..علم الحساب.. الذى رد على هذا العقل بحساباته وتحديداته قائلا:

﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾.

[الصافات ١٦ - ١٧]

فوقف هذا العقل الراجح فى مشورته الدنيوية.. التى تبنى فكرها على «علم الحساب»..عند هذا الحد من العلم.. «علم السطح».. ولم يتحرك خطوة واحدة فى داخل تلك الغرفة المظلمة.. وكيف يتحرك؟.. و«الظلمة حالكة».

وظل هذا العقل.. على كفره وعناده.. فلم تنفعه رجاحته وذكاؤه.. فإن ظلمة قلبه.. أحالت هذه الرجاحة وهذا الذكاء.. إلى بلادة وإلى هباء..

فظلمة هذا القلب.. قد هوت بصاحبه.. وحولت تلك الظلمة الحالكة «أبا الحكم».. حيث كان ساميا مرتفعا.. إلى «أبى جهل».. حيث أصبح هاويا منحدرا.

أما.. «عمر بن الخطاب».. فكان ممن يحملون.. دون أن يدرى هو.. هذا القلب «السليم» .. البالغ من السلامة هذا المبلغ العظيم.. وعندئذ.. وحينما تجول هذا العقل.. عقل عمر.. حيث سار متجها إلى قلبه... ماذا حدث..؟

وصل هذا «العقل».. إلى هذا «القلب»... فكما رأى ما حوله وما على سطحه.. من «علم الحساب».. فما أن وقف عند حد هذه الغرفة المضيئة.. فلم يجد هذا العقل نفسه إلا وقد دخل فيها.. لنورها وصفائها.. فما كان منه أن رأى كلَ شيءٍ في جنباتها..

فرأى من آيات الله (سبحانه وتعالى) البينات.. وكانت دهشة هذا العقل فقط. كيف أنه كان غافلا طوال هذا الوقت.. وكيف كان تائها فلم يصل إلى هذا النور من قبل.. أين كان عقله هذا؟..

وكل هذه الآيات تدل على أنه الله (سبحانه وتعالى) «الإله الواحد.. الخالق لهذا الكون..

وعلى الفور.. أسلم «عمر الفاروق».. «صاحب القلب السليم».. فضياء «قلبه».. لم يحجب شيئا عن «عقله».. فتخلص.. «الفاروق».. بهذا القلب السليم... من حال الكفر والعصيان.. وخرج مسرعًا.. إلى طريق الهداية والإيمان..

وحوّل هذا الضياء.. «عمر».. من مجرد جبار..يُخشى بأسه وصُرعته في الجاهلية.... إلى «فاروق».... يحتذى بعدله واستقامته.. دوما.. في أرجاء البرية.

الخلاصة

مما سبقت الإشارة إليه يمكن للباحث أن يخلص إلى النتائج التالية:

«الصراع بين الخير والشر» إنما هو:

- صراعٌ بين أفق محدود.. قد تحدد بتحديدات «علم الحساب»..

وأفـق لم يتحدد بتلـك التحديـدات... ولكنه تعداهـا حينما تعلق بآفاق أرحب وأوسـع... أظهرتها له... ودلت عليها... أنوار ونفحات «علم الفطرة».

- صـراعٌ بـين عقل لم يصل في بحثه... واستكشـافه.. إلا إلى النتائج المحددة بقوانين «علم الحساب»...

وعقل قد وصل في بحثه.. واستكشـافه.. إلى نتائج أوسـع وأشمل.. لوصولـه إلى قوانين أرفع وأعلى..لا تعرف حدودا.. ولا تعرف تحديدا.. فقـد انطلقت تلـك القوانين.. بغير حدود.. وقد اسـتمدت انطلاقها من أسرار وعجائب «علم الفطرة».

هذا الصراع يحدث ويظهر.. حينما تتعارض هذه «الحسابات» مع «تلك».. حينئذ يظهر فريقان.. فريق له حسـابات.. وآخر له حسـابات أخرى..في هذه المنطقة. التى اختلفت فيها حسابات «الفريقين».. ينشأ الصراع..

حيث يشـرع كلُ فريق في الدفاع عن حسـاباته.. التى توصل إليها ويعتقد فى صلاحيتها بالنسبة له والتى تخدم توجهه على هذه الأرض.

فالباحث المتدبر يستطيع أن يخلص إلى لب قضية الصراع بين الخير والشر فى عبارة موجزة:

إن هذا الصراعَ ينشأ حين التعارضِ «بين قلبين»:

«قلب سليم يريد الحق والعدل.. وقلب مريض يريد الهوى والميل».